أدلة اختصاص علم التفسير بأهل البيت عليهم السلام من القرآن الكريم والحديث الشريف

المدرس الدكتور
ثائر عبد الزهرة محسن الموسوي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية

أدلة اختصاص علم التفسير بأهل البيت عليهم السلام من القرآن الكريم والحديث الشريف

المدرس الدكتور
ثائر عبد الزهرة محسن الموسوي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية

المقدمة:

القرآن الكريم هو مصدر الشريعة الإلهية ورسالة اللّه الأخيرة للإنسان، ولأنه الرسالة الخالدة فقد تعامل معه المسلمون على مر الأجيال فكان النبع والمصدر في التشريع واستنباطاً للأحكام..ولكن إذا كان القرآن هو النص المكتوب بلغته العربية وبنسخته الوحيدة المتفق على سلامتها لدى جميع المسلمين فلماذا حدثت كل هذه الاختلافات، ولماذا ظهرت مختلف الاتجاهات الفكرية والعقيدية؟! فالمشكلة إذن تعود إلى تعدد الوسائل والرؤى في التعامل مع القرآن وقراءته.. وتكمن في فهم النص القرآني واكتشاف الحقيقة المستورة.كان الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي يفسر القرآن للذين آمنوا به واتبعوه..وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى.. من الذي سينبري للنهوض بهذه المهمة؟ كثيرون تلقوا الآيات في زمن النبي صلى الله عليه وآله وعرفوا دلالات بعض نصوص القرآن،ولكن هل كانوا متساوين في الوعي والإدراك؟وهل تلقوا تفسير القرآن كله؟ ان منطق العقل يؤكد ان أكثر الناس قرباً من النبي صلى الله عليه وآله هم اهل بيته.. وهذا ابن عمه علي بن أبي طالب الذي نشأ في أحضان النبي صلى الله عليه وآله.. وتشرب كلماته قبل البعثة وبعدها، فآهل البيت عليهم السلام تشربوا آيات القرآن وأدركوا أسراره، ولقد قال اللّه تعالى في القرآن ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾(١).

وقال سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيرًا﴾[٢] فهناك اذن آصرة قوية تجمع بين القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام. وهي الآصرة التي أشار النبي صلى الله عليه وآله إليها بقوله: ((اني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي)). وهذه الآصرة لا تتوقف ولا تنتهي وإنما تمتد لتواكب حركة الزمن، فالقرآن الكريم رسالة اللّه يشرحها النبي صلى الله عليه وآله وآلا النبي صلى الله عليه وآله وفي غير هذه الحالة سوف تتأثر القراءة كنص موضوعي بالحالة الذاتية للقارئ والمفسر وما يرتبط بها من مستويات الوعي والإدراك والرؤية الشخصية، بل والعامل المذهبي أيضاً.

وسيكون البحث على مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: معنى التفسير ومن المخول به.

المطلب الثاني: الاستدلال من القرآن الكريم على اختصاص التفسير بأهل البيت عليهم السلام.

المطلب الثالث: الاستدلال من روايات الفريقين على اختصاص التفسير بأهل البيت عليهم السلام. ثم خاتمة فيها أهم نتائج البحث

المطلب الأول

معنى التفسير ومن المخول به

قبل الدخول في أدلة اختصاص تفسير القران بأهل البيت عليهم السلام يجب ان نعرف ما هو التفسير لان عندما نفهم المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير يتضح انه لا يمكن ان يفسّر القران إلا أهل البيت عليهم السلام:

التفسير لغةً:

التفسير في اللغة مأخوذ من الفسر: وهو: إظهار المعنى، وكشف الغطاء والبيان.

وهذا ما قاله أساطين علماء اللغة واتفقت عليه كلماتهم نذكر أقوال

البعض منهم:

فقال الجوهري(ت٣٩٣هـ): ((الفسر: البيان. وقد فسرت الشيء أفسره بالكسر فسرا. والتفسير مثله. واستفسرته كذا، أي سألته أن يفسره لي))[٣].

وقال الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ): ((الفسر: أظهار المعنى المعقول))[٤].

وقال ابن منظور(ت٧١١هـ): ((فسر: الفَسْرُ البيان فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ أَبانه والتَّفْسيرُ مثله. وقال ابن الأَعرابي: التَّفْسيرُ والتأْويل والمعنى واحد وقوله عز وجل وأَحْسَنَ تَفْسيراً الفَسْرُ كشف المُغَطّى والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل والتأْويل ردّ أَحد المحتملين))[٥].

وقال الفيروز آبادي (تـ ٨١٧هـ): ((الفسر: الإبانة، وكشف المغطى))[٦].

وقال الزبيدي (تـ ١٢٠٥هـ) ((الفسر: الإبانة وكشف المغطى كما قاله ابن الأعرابي، أو كشف المعنى المعقول، كما في البصائر، كالتفسير. والفعل كضرب ونصر يقال: فسر الشيء يفسره ويفسره وفسره: أبانه.))[٧].

التفسير اصطلاحاً:

لفظ التفسير كغيره من الألفاظ التي أصبح لها معنى خاص في اصطلاح العلماء. فهو - التفسير - اسم لعلم من أهم العلوم والمعارف الإسلامية، وأكثرها أثراً في حياة الأمة الفكرية والتشريعية والاجتماعية وغيرها من مجالات الحياة.ومن استقراء التعاريف التي أوردها العلماء في كتبهم وتحديدهم لشخصية وهوية هذا العلم وأهدافه، نجد التقارب بين معناه في الاصطلاح، ومعناه في اللغة. وقد عرفه العلماء بعبارات يختلف بعضها عن بعض أحياناً. كما عرفه البعض منهم بما عرف به التأويل، فلم يفرق بينهما، بينما فرق فريق آخر من العلماء بين التفسير والتأويل تفريقا حديا، بل واعتبر بعضهم عدم التفريق بينهما جهلاً بالتفسير وبعلوم القرآن. وقال السيوطي ناقلاً

عن الراغب تعريفه للتفسير: ((وقال الراغب: التفسير اعم من التأويل))[٨].

والباحث سيختار قولين في معنى التفسير من كبار علماء الفريقين:

١- عند الجمهور قال الما تريدي (ت٣٣٣هـ) في تعريف التفسير ما نصّه: ((التفسير هو القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا؛ فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهى عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله))[٩].

٢- عند الشيعة عرفه السيد الخوئي بقوله: ((التفسير هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز، فلا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان، ولا على شئ لم يثبت أنه حجة من طريق العقل، أو من طريق الشرع، للنهي عن أتباع الظن، وحرمة إسناد شئ إلى الله بغير إذنه قال الله تعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[١٠]. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[١١].

إلى غير ذلك من الآيات والروايات الناهية عن العمل بغير العلم، والروايات الناهية عن التفسير بالرأي مستفيضة من الفريقين. ومن هذا يتضح أنه لا يجوز أتباع أحد المفسرين في تفسيره، سواء أكان ممن حسن مذهبه أم لم يكن، لأنه من أتباع الظن، وهو لا يغني من الحق شيئاً))[١٢].

ويتضح من خلال التعريفين انه ليس بمقدور أي احد ان يفسر القران، فهناك منه هو مختص به دون غيره.

من يفسر القرآن: إن الحديث عن منهج التفسير، والأدوات والوسائل التي توصل إلى معرفة القرآن، والكشف عن معانيه،وبيان مراد اللّه تعالى منه. يقودنا إلى ضرورة بيان مسألة أساسية من المسائل التي يرتبط بها فهم القرآن، واكتشاف محتواه الفكري والتشريعي والتربوي...الخ. وهي مسألة: (من

المخول بفهم القرآن وتفسيره). فقد نشأت في هذا الشأن عدة نظريات أساسية أثارت جدلاً وخلافاً بين العلماء وهي:

١- النظرية التي تذهب إلى أن القرآن لا يفسره إلا الرسول صلى الله عليه وآله باعتباره المخاطب به، وهو وحده يدرك ما فيه من معان ومضامين، وهو مذهب الحشوية والمجبرة، كما ذكر الشيخ الطوسي ذلك[١٣].

٢- النظرية القائلة ان القرآن لا يفسره إلا الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من اهل البيت عليهم السلام باعتبارهم الحجة على الخلق بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ووفق هاتين النظريتين يتوقف دور العقل والاجتهاد في فهم القرآن.

٣- النظرية التي تذهب إلى أن القرآن خطاب عربي مبين، وان كل من عرف لغة العرب يستطيع أن يفهم القرآن.

٤- النظرية التي تذهب إلى أن القرآن خطاب الهي موجه إلى البشرية جميعها، بلغة عربية فصيحة، وبالاعتماد على العنصر اللغوي وأدوات علمية أخرى نستطيع ان نفهم القرآن وفق ظهوره اللغوي، كما نستطيع ان نستنبط الكثير من معانيه عن طريق العقل والتدبر، غير ان هناك بعض المعاني والمفاهيم التي يحتاج الناس في بيانها إلى الرسول صلى الله عليه وآله أو الإمام الذي ورث علوم الرسول صلى الله عليه وآله فلابد فيها من الرجوع اليه،فهو المرجع من بعده وان بيانه هو الحجة عند الخلاف في فهم القرآن، وبذا يكون فهم القرآن والاستنباط منه عملا علميا جائزا لغير النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام إذا كان قد توفرت لديه الوسائل العلمية التي تؤهله لفهم القرآن، وهذه النظرية هي النظرية العلمية السائدة لدى مفسري وفقهاء الشيعة الامامية، وفي ذلك تحدث الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) مبيناً بطلان النظريات الأولى والثانية والثالثة، واثبات النظرية الرابعة، وقد

صرح بذلك عند تفسيره الآية الكريمة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[١٤].

الاستدلال من القرآن:

كثيرة هي الآيات القرآنية التي تشير إلى علم أهل البيت وأفضليتهم على غيرهم بعلم تفسير القران، ونحن سنذكر بعضها وهي متسلسلة بحسب النزول، وأيضاً إجماع مفسري الامامية وأكثر مفسري العامة على أنها نزلت بهم وخاصّة لهم دون غيرهم وهي كالأتي:

الدليل الأول:

تحدث الوحي عن مسألة البيان القرآني بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[١٥] قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾: ((والبيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره بان الشيء يبيّن إذا ظهر، وإبانه غيره، أي أظهره بياناً وابانة. ونقيض البيان الإخفاء والإغماض. وقال قتادة: ثم ان علينا بيانه، معناه: أنا نبين لك معناه اذا حفظته))[١٦] وفسر العلامة الطباطبائي هذه الآية بقوله: ((أي علينا إيضاحه عليك بعد ما كان علينا جمعه وقرآنه، فثم للتأخير ألرتبي، لان البيان مترتب على الجمع والقراءة رتبة. وقيل: المعنى: ثم ان علينا بيانه للناس بلسانك تحفظه في ذهنك عن التغيير والزوال حتى تقراه على الناس))[١٧].

وبقوله تعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٨].

وهكذا يوضح القرآن ان بيان ما كان غامضاً من القرآن، لا يتضح الا ببيان الرسول صلى الله عليه وآله وهو من مهامه صلى الله عليه وآله، وان اللّه سبحانه قد بينه له، وكشف غوامضه.

الدليل الثاني:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[١٩].

عبر ب(أورثنا) بالماضي لتحققه[٢٠].

ومعنى أورثنا، قال مجاهد: أعطينا، لأن الميراث عطاء[٢١].

وقال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في تفسير أورثنا: ((ومعنى الإرث انتهاء الحكم إليه ومصيره لهم، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٢] وقيل المراد أورثناهم الإيمان بالكتب السالفة وكان الميراث انتقال الشيء من قوم إلى قوم. والأول أصح))[٢٣].

والمراد بالكتاب على ما يعطيه السياق هو القران الكريم والدليل عليه:

قوله في الآية السابقة: ﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[٢٤].

وهو نص فيه فاللام فيه للعهد دون الجنس فلا يعبأ بقول من يقول أنها للجنس والمراد بالكتاب مطلق الكتاب السماوي المنزل على الأنبياء[٢٥].

وقال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) ((اتفق أكثر المفسرين على أن المراد من الكتاب القرآن))[٢٦].

المراد من (اصطفينا).

في اللغة معنى الاصطفاء هو: قال الراغب (ت٥٠٢هـ) ((والصفي والصفية ما يصطفيه الرئيس لنفسه))[٢٧].

والاصطفاء أخذ صفوة الشيء ويقرب من معنى الاختيار والفرق أن

الاختيار أخذ الشيء من بين الأشياء بما أنه خيرها والاصطفاء أخذه من بينها بما أنه صفوتها وخالصها[٢٨].

وقال السلمي (ت٤١٢هـ): ((وقال يحيى: اصطفاهم عن كدورتهم وأخلصهم لفهم القرآن والقيام بحدوده. وأيضا: اصطفاهم بالمشاهدة والموافقة ولما أسر إليهم من مجالسته ومؤانسته))[٢٩].

وفي سورة النمل يعطينا العلامة على من أورثوا علم الكتاب بان الله تبارك وتعالى يصلي عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣٠].

المصطفون هم الذين ورثوا العلم وهم حجّة الله على خلقه، يقول السيد عبد الله شبر(١٢٤٢هـ): ((هم الذين اختارهم حجّجاً على خلقه))[٣١].

واختلفوا في هؤلاء المصطفين من عباده من هم ؟

قيل هم الأنبياء وقيل هم بنو إسرائيل الداخلون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣٢].

وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وآله فقد أورثوا القران من نبيهم واليه يرجعون وبه ينتفعون علماؤهم بلا واسطة وغيرهم بواسطتهم، وقيل هم العلماء من الأمة المحمدية[٣٣].

وقال الحاكم الحسكاني (ق٥هـ): حدثونا عن أبي بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي قال: حدثني الحسين بن إبراهيم بن الحسن الجصاص قال: أخبرنا الحسين بن الحكم حدثنا عمرو بن خالد أبو حفص الأعشى: عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين، قال: ((إني لجالس عنده إذ جاءه رجلان من أهل العراق فقالا: يا ابن رسول الله جئناك كي تخبرنا عن آيات من القرآن.

فقال: وما هي ؟ قالا: قول الله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) فقال: يا أهل العراق وأيش يقولون ؟ قالا: يقولون: إنها نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله فقال لهم علي بن الحسين: أمة محمد كلهم إذا في الجنة !! قال: فقلت من بين القوم: يا ابن رسول الله فيمن نزلت ؟ فقال: نزلت والله فينا أهل البيت - ثلاث مرات -))[٣٤].

إن رواية الحاكم الحسكاني عبر في بداية السند بقوله: (حدثونا) وهذا دليل على كثرة طرق الرواية عنده، واكد على استفاضة الرواية العلامة الطباطبائي بقوله: ((وقيل: وهو المأثور عن الصادقين في روايات كثيرة مستفيضة - ان المراد بهم ذرية النبي صلى الله عليه وآله من أولاد فاطمة عليها السلام وهم الداخلون في آل إبراهيم في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾))[٣٥].

فقد نص النبي على علمهم بالقران وإصابة نظرهم فيه وملازمتهم إياه بقوله في الحديث المتواتر المتفق عليه: ((اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))[٣٦].

وعن الشيخ الكليني بإسناده عن احمد بن عمر قال: سألت ابا الحسن الرضا عليه السلام عن قوله عز وجل ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ قال: فقال الإمام: ((ولد فاطمة عليها السلام)) [٣٧]

وروى الشيخ الحر العاملي (ت١١٠٤هـ) عن الباقر عليه السلام في الاية قال: ((هي لنا خاصّة))[٣٨].

وهي الآية المباركة التي جاء بها الإمام الرضا عليه السلام محتجّاً على العلماء الذين جمعهم الخليفة المأمون العباسي، مبيناً لهم أن هذه الآية تقصد أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم المصطفون ووارثوا الكتاب، وقد اعترفوا بذلك كلهم، وأقام على ذلك أوثق الأدلة، وكان ذلك بحضور المأمون وجماعة من علماء العراق

وخراسان فقد سأل المأمون العلماء عن معنى هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وبادر العلماء فقالوا: ان الذين اصطفاهم الله هم المسلمون كلهم والتفت المأمون إلى الامام فقال له: ما تقول: يا أبا الحسن؟ لا أقول: كما قالوا: ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى العترة الطاهرة عليهم السلام وسارع المأمون، وقد استفزه قول الإمام، فقال: كيف عنى العترة دون الأمة؟ وانبرى الإمام فأقام الدليل القاطع على ما ذهب إليه قائلا: لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، والله تعالى يقول: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير[٣٩].

وروى السيد ابن طاووس (ت٦٦٤هـ) قال: حدثنا علي ابن عبد الله بن أسد حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا إسحاق بن يزيد الفراء عن غالب الهمداني عن أبي إسحاق السبيعي قال: ((خرجت حاجّاً فلقيت، محمد بن علي فسألته عن هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فقال عليه السلام: ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق - يعنى أهل الكوفة - قال: قلت يقولون انها لهم قال: فما يخوفهم إذا كانوا من أهل الجنة قلت فما تقول أنت جعلت فداك فقال: هي لنا خاصّة يا أبا إسحاق أما السابق في الخيرات فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين والشهيد منا المقتصد فصائم بالنهار وقائم بالليل))[٤٠].

إن هذه الروايات بجميعها التي أوردها مفسري الشيعة والبعض من مفسري السنة وصلت حد الاستفاضة والشهرة ان لم نقل بتواترها، وهذا ما قاله السيد الطباطبائي: ((واعلم ان الروايات من طرق الشيعة عن أئمة آهل البيت عليهم السلام كون الآية خاصة بولد فاطمة كثيرة جداً))[٤١]

الدليل الثالث:

وتأتي سورة الواقعة وهي في ترتيب النزول بعد سورة النمل بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٤٢].

والمس هنا ليس أن تمسك ورق كما قال الزمخشري (ت٥٣٤هـ): ((المعنى لا ينبغي إن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه))[٤٣].

وهذا كلام مردود لان إمساك الورق من باب الأدب العام لكن المس هنا هو فهم المعنى، أي أن يتصل عقل التالي له بحقيقة معناه.

البعض يقول أتوضأ وأتطهر وامسك المصحف.

الرد عليه: أنت عندما تتوضأ وتغتسل لا تسمى مطهّر وإنما تسمى متطهّر، المطهّر هو من طهره الله عز وجل، المطهر جاء وصف لمن طهّر بغير احتياج منه ولا جهد منه.

اللَّمْسِ غيرَ الْمَسِّ:

وقع الخلاف في تفسير اللمس والمس، في كتب اللغة اللمس والمس معناها واحد جاء في النهاية والقاموس ((لمسه: مسّه بيده ومسسته أي لمسته))[٤٤].

قال ابن منظور(ت٧١١هـ): ((وقال ابن دريد: كل ماس لا مس. وقال الفارابي: اللمس هو المس.وقال ابن الإعرابي في التهذيب: اللمس يكون مسّ الشيء))[٤٥].

وقال الزبيدي: ((قيل: اللمس: الجس، وقيل: المس مطلقا، ويدل له قول الراغب: المس: إدراك بظاهر البشرة كاللمس. وقيل: اللمس والمس متقاربان، ولامسه: مثل لمسه))[٤٦].

والعجيب انه جاء في كتاب المصطلحات لمركز المعجم الفقهي الجعفري مقلداً وموافقاً لما قاله اهل اللغة وهو خطأ واضح وبيّن، فقد جاء في معنى المس ما نصه ((المس: بالفتح والتشديد مس الشيء: لمسه بيده، ومنه ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾)) (٤٧).

لكنا نجد ابو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) فرّق بينهما في كتابه الفروق اللغوية بما نصه: ((الفرق بين اللمس والمس: أن اللمس يكون باليد خاصة ليعرف اللين من الخشونة والحرارة من البرودة، والمس يكون باليد وبالحجر وغير ذلك ولا يقتضي أن يكون باليد ولهذا قال تعالى ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾(٤٨) وقال: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾(٤٩) ولم يقل يلمسك))(٥٠).

أما في الاصطلاح فهناك فرق واضح فيقول السيد عبد الله شبر: ((اللمس هو الإصابة بما به إحساس من البدن، بقصد الإحساس للملموس لا خصوص اللمس باليد، ولا مطلق المس، نعم كثيراً من موارد اللمس ما يكون باليد، باعتبار انها آلة عادية، وأقوى إحساساً، كما ان المس هو مطلق الإصابة لا بقصد الإحساس))(٥١).

وقد صرح جماعة من اساطين علمائنا بان معنى المس لغة، بل وعرفا هو التفريق بينهما كما في المعتبر للمحقق الحلي والمنتهى للعلامة وروض الجنان للشهيد الثاني والحدائق للبحراني والمهذب البارع لابن ادريس الحلي(٥٢).

و الذي يحقق في مراجعة العرف والتبادر وتتبع موارد الاستعمال قديماً وحديثاً لا يشك ان معنى اللمس والمس مختلف.

والمطهرون - اسم مفعول من التطهير - يقول السيد الطباطبائي في تفسير هذه الآية: ((هم الذين طهر الله تعالى نفوسهم من ارجاس المعاصي وقذرات الذنوب أو مما هو أعظم من ذلك وأدق وهو تطهير قلوبهم من التعلق بغيره

تعالى، وهذا المعنى من التطهير هو المناسب للمس الذي هو العلم دون الطهارة من الخبث أو الحدث كما هو ظاهر))[٥٣].

ويتضح مما تقدم من هذا الدليل بأن القران لا يفهم معناه إلا المطهرون والذين سوف نتعرف عليهم من خلال الدليل القرآني الرابع.

الدليل الرابع:

ثم جاءت آية التطهير في سورة الأحزاب وهي تالية لكل ما قدمنا فهي مدنية بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٥٤].

وليس المراد من أهل البيت نساء النبي صلى الله عليه وآله وذلك للسببين:

الأول: لغوي: فقد عبر عن آهل البيت بـ (عنكم) ولم يقل عنكن.

الثاني: سبب النزول: إن الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لا يشاركهم فيها غيرهم وقد دلت على ذلك روايات كثيرة من كلا الفريقين، اذ تزيد هذه الروايات عن السبعين رواية وكانت تلك الروايات من طرق السنة اكثر منها عند الشيعة، فقد روتها اهل سنة بطرق كثيرة عن أم سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري وسعد و وائلة بن الاسقع وابي الحمراء وابن عباس وثوبان مولى النبي وعبد الله بن جعفر وعلي والحسن بن علي عليهم السلام في قريب من أربعين طريقا[٥٥].

وروتها الشيعة عن علي والسجاد والباقر والصادق والرضا عليهم السلام وأم سلمة وأبي ذر وأبي ليلى وأبي الأسود الدؤلي وعمرو بن ميمون الاودي وسعد بن أبي وقاص ما يقرب من ثلاثين طريقا[٥٦].

ونذكر من هذه الروايات:

اخرج بن جرير وبن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن زوج النبي: ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان ببيتها على منامه له عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة.. فقال لها ادعي زوجك وابنيك حسنا وحسينا فبينما هم يأكلون اذ نزلت على رسول الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

فأخذ النبي بفضلة إزاره فغشاهم إياها ثم اخرج يده من الكساء وأما بها إلى السماء ثم قال: هؤلاء آهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالها ثلاث مرات، قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي في الستر فقلت يا رسول الله وأنا معكم ؟ فقال: انك الى خير مرتين. وروى الحديث في غاية المرام عن عبد الله بن احمد بن حنبل بثلاثة طرق عن أم سلمة(٥٧).

وأيضاً عن ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء ولفظه: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانية اشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج الى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب علي فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال: الصلاة يأهل البيت الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس آهل البيت ويطهركم تطهيرا(٥٨).

ورواه في الدر المنثور عن ابن شيبة واحمد بن حنبل والترمذي وحسنه ابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم النيسابوري وصححه ابن مردويه عن انس ولفظه: ان الرسول كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى صلاة الفجر ويقول: الصلاة يا اهل البيت الصلاة انما يريد الله ليذهب.. الاية(٥٩).

وقال أبو بكر الحضرمي: والذي قال به الجماهير من العلماء، وقطع به أكابر الأئمّة، وقامت به البراهين وتظافرت به الأدلّة أنّ أهل البيت المرادين في الآية هم سيّدنا عليّ وفاطمة وابناهما وما كان تخصيصهم بذلك منه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ عن أمر إلهيّ ووحي سماويّ... والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وبما أوردته منها يعلم قطعاً أنّ المراد بأهل البيت في الآية هم عليّ

وفاطمة وابناهما رضوان الله عليهم، ولا التفات إلى ما ذكره صاحب روح البيان من أنّ تخصيص الخمسة المذكورين عليهم السلام بكونهم أهل البيت من أقوال الشيعة، لأنّ ذلك محض تهوّر يقتضي بالعجب، وبما سبق من الأحاديث وما في كتب أهل السنّة السنيّة يسفر الصبح لذي عينين إلى أن يقول وقد أجمعت الأُمّة على ذلك فلا حاجة لإطالة الاستدلال له[٦٠].

وقال ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): ((﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ أكثر المفسّرين على أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين))[٦١].

والروايات في هذا المعنى من طرق السنة كثيرة وكذا من طرق الشيعة[٦٢].

إشكال: ان كل هذا مدفوع بنص الكتاب على شموله نساء النبي كوقوع الآية في سياق خطابهن.

الجواب على الإشكال: إنما الشأن كل الشأن في اتصال الآية بما قبلها من الآيات فهذه الأحاديث على كثرتها ناصّة في نزول الآية وحدها. ولم يرد حتى في رواية واحدة نزول هذه الآية في ضمن آيات نساء النبي، ولا ذكره احد حتى القائل باختصاص الآية بنساء النبي كما ينسب إلى عكرمة وعروة، فالآية لم تكن بحسب النزول جزءاً من آيات نساء النبي ولا متصلة بها.

يقول السيد الطباطبائي: إنما وضعت بينها ـ أي آيات نساء النبي ـ إما بأمر من النبي صلى الله عليه وآله أو عند التأليف بعد الرحلة ويؤيده ان آية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ على انسجامها واتصالها لو قدر ارتفاع اية التطهير من بين جملها[٦٣].

الخلاصة: وبعد دمج كل هذه الآيات يتبين لنا من هو المختص بتفسير القران دون غيره، فقد وكلّ الله تبارك وتعالى فهم القران وتفسيره للنبي صلى الله عليه وآله

وأهل بيته عليهم السلام، فهم الذين أورثوا علم الكتاب ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، وعرفنا بطرق الخاصة والعامة أنهم هم المصطفون، وهم المطهرون الذين ذكروا في آية المس ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وهم آهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وهذه الآيات ليس وحدها ـ التي ذكرناها سابقاـ تشير الى ان آهل البيت هم اعلم من غيرهم بالقران الكريم، ولو اكتفينا بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ))[٦٤].

روايات الشيعة متّفقة على أنّ المراد منه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والأئمة المعصومين عليهم السلام. وقد وردت روايات كثيرة من طرق أهل السنّة تدلّ على أنّ مَن عنده علم الكتاب هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام. أمّا من طرق الشيعة: روى الكليني عن مولانا الباقر عليه السلام في الآية الكريمة قال: ((إيّانا عنى، وعليّ عليه السلام أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله))[٦٥].

وقال الطبرسي: سأل رجل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن أفضل منقبة له، فقرأ الآية، وقال: ((إيّانا عنى بمَن عنده علم الكتاب))[٦٦].

وفي تفسير الصافي عن المجالس عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سئل عن هذه الآية قال: ((ذاك أخي عليّ بن طالب))[٦٧].

وفي " تفسير القمّي" عن الصادق عليه السلام قال: ((هو أمير المؤمنين))[٦٨] إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة.

وأمّا من طرق أهل السنّة: ففي مناقب علي بن أبي طالب للفقيه الشافعي ابن المغازلي: (إنّه علي بن أبي طالب)وروى ذلك الثعلبي في تفسيره بطريقين[٦٩].

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تشير إلى اختصاصهم بعلم تفسير القران دون غيرهم،وكما قال السيد الخوئي: ((فهم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته، وليس لغيرهم في ذلك نصيب))[٧٠].

وخير ما نختم به هذا المحور رواية عن الإمام الباقر عليه السلام ان التفسير لا يدركه عقول الرجال وإنهم هم المختصون به واليك نص الرواية:

أحمد بن أبى عبد الله البرقى، عن أبيه، عن على بن الحكم، عن محمد بن الفضيل، عن شريس الوابشى، عن جابر بن يزيد الجعفي قال:((سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التفسير فأجابني ثم سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، فقال: يا جابر إن للقرآن بطنا وللبطن بطن، وله ظهر، وللظهر ظهر، يا جابر ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن..))[٧١].

المحور الثالث: الاستدلال من روايات الفريقين:

كثيرة هي الروايات التي وردت من كلا الفريقين باختصاص علي بن أبي طالب بتفسير القران دون غيره من الصحابة، وانه أصل التفسير ومنه استلهم الصحابة تفسير القران وبذلك قال ابن أبي الحديد المعتزلي ما نصه: ((علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرع. وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لان أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه. وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال: كنسبة قطره من المطر إلى البحر المحيط))[٧٢]

أولا: الأدلة من كتب الجمهور:

الدليل الأول: شهادة ابن عباس بعلم الإمام علي عليه السلام:

لقد اجمع المفسرون من كلا الفريقين على ان ابن عباس هو من اعلم

الصحابة في تفسير القران، واستفاضة الروايات من الفريقين وبطرق كثيرة جداً على شهادة ابن عباس بأنه تلميذ الإمام علي عليه السلام، وأن كل علمه بالتفسير هو مأخوذ منه عليه السلام.

روى الحافظ أبي سعيد النقاش الحنبلى (ت٤١٤ هـ) عن ابن عباس انه قال: ((جلّ ما تعلّمت من التفسير، من عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وقال: عليٌّ عَلِمَ علماً علّمه رسول الله، ورسول الله علّمه الله فعِلم النبيّ من عِلم الله، وعلم عليّ من علم النبيّ، وعلمي من علم عليّ عليه السلام. وما علمي وعلم أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله في علم عليّ إلّا كقطرة في سبعة أبحر)).(٧٣)

الدليل الثاني: شهادة ابن مسعود بعلم الإمام علي عليه السلام.

قال ابن مسعود: ((إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن))(٧٤).

الدليل الثالث: الإمام علي عليه السلام أشهر الصحابة بعلم التفسير.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ): ((إشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة. وابن مسعود. وابن عباس. وأبي بن كعب. وزيد بن ثابت. وأبو موسى الأشعري. وعبد الله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جداً، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم كما أن هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، و لا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثارا قليلة جدا لا تكاد تجاوز العشرة. وأما علي فروي عنه الكثير، وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألون عن شيء إلا أخبرتكم، و سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل... وأخرج

أبو نعيم في الحلية من طريق أبي بكر بن عياش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً))[٧٥].

وردّ العلامة الأميني على قول السيوطي بقوله: ((ما هذا التهافت في كلام السيوطي هذا ؟ ألا مسائل الرجل عن أن الذي لم يجد له هو نفسه وهو ذلك المتتبع الضليع عشرة أحاديث في علم التفسير كيف عده ممن اشتهر بالتفسير من الصحابة ؟ نعم راقه أن لا يفرق بينه وبين مولانا أمير المؤمنين وقد روى فيه ما روى ذاهلا عن قوله تعالى، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٧٦].

الدليل الرابع: الإمام علي عليه السلام يصف نفسه:

جاءت روايات كثيرة في كتب السنة تشير الى أن الإمام علي عليه السلام يصف نفسه بعلمه بكتاب الله (عز وجل) ونذكر البعض منها وهي كالأتي:

١- في مسند أحمد بن حنبل بسنده عن ابن عباس قال: ((إن علياً رضي الله عنه.

قال على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني: سلوني عن كتاب الله، وما من آية إلا وأنا أعلم حيث أنزلت بحضيض جبل أو سهل أرض، وسلوني عن الفتن فما من فتنة إلا وقد علمت من كسبها ومن يقتل فيها. وقال أحمد: روى عنه نحو هذا كثيرا))[٧٧].

وقال سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي (ت١٢٩٤هـ): ((ويصف الإمام علي عليه السلام نفسه وموضعه من رسول الله صلى الله عليه واله) فيقول: "سلوني عن كتاب الله، فإنّه ليست آية إلّا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل نزلت أو جبل والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيمَ نزلت، وأين نزلت إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً))[٧٨].

٢- وقال الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (ت٥٦٨هـ): ((ولما أراد أهل الشام أن يجعلوا القرآن حكماً بصفين قال الإمام على رضي الله عنه: أنا القرآن الناطق))[٧٩] ويقول في موضع آخر وبسنده عن سليمان الاعمش عن أبيه عن علي قال: ((والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت؟ واين نزلت؟ وعلى من أنزلت؟ وأن ربي وهب لي لساناً طلقاً وقلباً عقولاً))[٨٠].

٣- وقال أحمد في مسنده، وموفق بن أحمد الخوارزمي في "المناقب": بسنديهما عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني إلا على بن أبى طالب[٨١].

٤- وقال ابن عساكر (ت٥٧١هـ) أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن أحمد بن محمد ثنا أبو بكر بن خلف أنا الحاكم الإمام أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول سمعت عبد الله بن الحسين بن الحسن الأشقر ويقال له ابن الطبال بالكوفة يقول سمعت محمد بن فضيل يقول سمعت ابن شبرمة يقول: ((ما كان أحد علي المنبر يقول: سلوني عمّا بين اللوحين إلاّ علىّ بن أبى طالب))[٨٢].

٥- وقال إبراهيم بن محمد الجويني: وقال الشيخ جنيد: إن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه لو يفرغ عن الحروب لوصل إلينا عنه من هذا العلم ما لا يقوم له القلوب، وصاحبنا في هذا الأمر الذي أشار إلى ما تضمنه القلوب وأومأ إلى حقايقه بعد نبينا صلى الله عليه وآله على بن أبى طالب (كرم الله وجهه). وفى شرح التعرف: إن علياً رضي الله عنه رأس كل العرفاء باتفاق الأمة، وله كلام ما قال أحد قبله ولا بعده، وصعد على المنبر وقال: سلوني فان ما بين جنبي علماً جماً هذا ما زقني النبي صلى الله عليه وآله زقاً زقاً، فو الذي نفسي بيده لو أذن للتوراة والإنجيل فأخبرت بما فيهما فصدقاني على ذلك[٨٣].

بعد ذكر كل هذه الروايات ومن مصادر متفرقة من كتب العامة نصل إلى أمور منها:

١- تواتر الأخبار من كتب العامة على سعة علم الإمام علي عليه السلام في كتاب الله.

٢- إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان اعلم الصحابة بعلم تفسير القران وبدلالة الروايات التي ذكرنا البعض منها.

٣- شهادة كبار الصحابة الذين هم بإجماع مفسري العامة انهم اعلم الناس بالقران على ان امير المؤمنين اعلم منهم، وان علمهم قياساً مع علمه الا نقطة في بحر أو في سبعة أبحر كما قال ابن عباس.

٤- من خلال الأخبار السابقة والتي ذكرها كبار علماء العامة جاء فيها انه لا يوجد احد قبل الإمام علي عليه السلام ولا بعده قال سلوني عن كتاب الله، وعن كل آية فيه وعلمه بها أين نزلت وفيما نزلت وعلى من نزلت.

ثانياً: الأدلة من كتب الشيعة:

الدليل الأول: سعة علم الإمام علي عليه السلام بأسرار القرآن.

عن ابن عبّاس أنه قال: ((أخذ بيدي الإمام علي في ليلة مقمرة، فخرج بي إلي البقيع بعد العشاء، وقال: اقرأ يا عبد الله، فقرأت: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، فتكلّم لي في أسرار الباء إلي بزوغ الفجر))[٨٤].

شرح أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس باء بسم الله في تمام الليلة ولم يتعد إلى السين، ثم قال: لو شئت لأوقرت أربعين بعيرا من شرح بسم الله[٨٥].

وقريب من ذلك في أول تفسير البرهان قوله (عليه السلام): لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير بسم الله الرحمن الرحيم[٨٦].

و قال العلامة الشعراني (ت٩٧٣هـ): ((وروينا عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه أنه كان يقول: لو شئت لأوقرت لكم ثمانين

بعيرا من معنى الباء.))[٨٧]

إن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي تحت الباء.[٨٨]

الدليل الثاني: علم أهل البيت بالقران من الله عز وجل.

روى الشيخ الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح قال: ((والله لقد قال لي جعفر ابن محمد عليه السلام: إن الله علم نبيه التنزيل والتأويل فعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام قال: وعلمنا والله..))[٨٩].

والرواية ذكرها الشيخ الطوسي والعياشي في تفسيره[٩٠].

وذكر الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) بإسناده، عن علي عليه السلام، قال: ((سلوني عن كتاب الله (عزّ وجل)، فوا لله ما نزلت آية منه في ليل أو نهار ولا: سلوني عن كتاب الله عزّ وجلّ، فوَ الله ما نزلت آية منه في ليل أو نهار، ولا مسير ولا مقام، إلاّ وقد أقرانيها رسول الله وعلمني تأويلها. فقال ابن الكوّاء: يا أمير المؤمنين، فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه؟ قال: كان يحفظ علىّ رسول الله ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا عنه غائب حتي أقدم عليه فيقرئنيه، ويقول لى: يا علىّ، أنزل الله علىً بعدك كذا وكذا وتأويله كذا وكذا، فيعلّمني تنزيله وتأويله))[٩١].

الخاتمة ونتائج البحث:

توصل البحث إلى نتائج عدة أهمها الآتي:

١- هناك علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للتفسير حيث أن من معانيه اللغوية الكشف ورجح البحث تعريف السيد الخوئي وهو (الكشف

عن مراد الله...). وتعريف الماتريدي (القطع بان مراد الله هذا..).

٢- اختصاص أهل البيت عليهم السلام بتفسير القران دون غيرهم من خلال ما عرفناه من التعريف الاصطلاحي ـ للما تريدي والسيد الخوئي ـ وذلك لان الكشف عن مراد الله - كما عرفه السيد الخوئي - لا يكون لشخص عادي ما لم يكن ملهم من الله تعالى؛ لأنه ليس بمقدور الإنسان العادي مهما كان علمه وفهمه لا يستطيع ان يكشف عن مراد الله تعالى.

٣- اتفق الكثير من مفسري السنة وكل مفسري الشيعة على أن المقصود بالمصطفين هم أهل البيت عليهم السلام، وهم المقصودين في الآية الكريمة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.

٤- اثبت البحث أن اللمس والمس معناهم مختلف وليس بمعنى واحد - كما زعم اللغويون - حتى نفهم الآية الكريمة ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ان المراد منها ليس مسك الكتابة كما قاله اكثر مفسري السنة، بل هو فهم معنى القران الكريم، وان المطهرين هم أهل البيت عليهم السلام بدلالة آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

٥- اتفق جلّ مفسري السنة مع كل مفسري الشيعة على ان المقصود بأهل البيت الوارد في آية التطهير هم الخمسة أصحاب الكساء، كما الروايات الواردة في تفسير الآية وصلت الى حد التواتر عند الشيعة وعند السنة وصلت إلى الاستفاضة والشهرة.

٦- اتفق كل المسلمون - سنة وشيعة - على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو المفسر الأول للقران الكريم، وان جميع الصحابة كانوا يرجعون إليه في فهم ما أشكل عليهم من القرآن الكريم.

٧- ان الله تبارك وتعالى تكفل بالبيان للقران بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ويكون هذا البيان عن طريق النبي صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ ثم خصّ سبحانه وتعالى المصطفون من عباده بوراثة الكتاب بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وقد اثبت البحث ان المصطفين هم أهل البيت عليهم السلام ثم بيّن سبحانه ان القرآن لا يفهم معناه الا المطهرون بقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وقد بيّن القران من هم المطهرون بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

٨- الآيات المذكورة في النقطة السابقة جاءت متسلسلة من حيث النزول وعند ضم بعضها إلى بعض نحصل على نتيجة بأن أهل البيت عليهم السلام هم المختصّون بتفسير القران دون غيرهم وكما قال السيد الخوئي (فهم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته، وليس لغيرهم في ذلك نصيب).

٩- ان من عنده علم الكتاب في الآية الواردة في آخر سورة الرعد هو علي ابن أبي طالب وأولاده المعصومين عليهم السلام وقد اجمع الشيعة على ذلك وقد ذكره البعض من مفسري السنة.

١٠- الروايات الواردة من طرق السنة متواترة على ان أمير المؤمنين عليه السلام عالم بإسرار القران وهو الوحيد من الصحابة الذي قال سلوني عن كتاب الله فلم يقلها احد قبله ولا بعده.

١١- البحث ذكر روايات كثيرة من كلا الفريقين على اختصاص الأمام علي عليه السلام بعلم تفسير القران ولا يوجد احد ينافسه بذلك أبداً وقد أورثه عليه السلام إلى أولاده المعصومين عليهم السلام من بعده.

هوامش البحث

(١) الواقعة: ٧٩.
(٢) الاحزاب: ٣٣.
(٣) الصحاح: ٧٨١/٢.
(٤) مفردات غريب القران: ٣٨٠.
(٥) لسان العرب: ٥٥/٥.
(٦) القاموس المحيط: ١١٠/٢.
(٧) تاج العروس: ٣٤٩/٧.
(٨) الإتقان في علوم القران: ٤٦٠/٢.
(۞) هو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، وهو إمام المدرسة الماتردية التي يتبعها غالبية أتباع المذهب الحنفي في العقيدة. والماتريدي نسبة إلى ما تريد، وهي محلة بسمرقند فيما وراء النهر، وقد لقب الماتريدي بـ"إمام الهدى "و"إمام المتكلمين" وغيره من الألقاب وهي ألقاب تظهر مكانته في نفوس مسلمي عصره ومؤرخيه. ورغم ذيوع اسمه واشتهاره واشتهار فرقة الماتريدية المنسوبة إليه فقد كان المؤرخون الذين كتبوا عنه قلة.ولم تذكر المراجع سنة ميلاده بالتحديد ولكن يمكن القول إنه ولد في عهد المتوكل الخليفة العباسي، توفى سنة ٣٣٣هجرية. ظ: الزركلي، الأعلام: ٧/ ١٩.
(٩) المصدر نفسه: ٤٦٠/٢.
(١٠) يونس: ٥٩.
(١١) الإسراء: ٣٦.
(١٢) ظ: البيان في تفسير القران: ٣٩٧.
(١٣) ظ: التبيان: ٢٧٠/٣.
(١٤) النساء: ٨٢.
(١٥) القيامة: ١٧ – ١٩.
(١٦) التبيان: ١٩٦/١٠ – ١٩٧.
(١٧) الميزان في تفسير القران: ١١٠/٢٠.
(١٨) النحل: ٤٤.
(١٩) فاطر: ٣٢.
(٢٠) ظ: تفسير البيضاوي: ٤١٩.
(٢١) أبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط: ٢٩٨/٧.

(٢٢) الزخرف: ٧٢.
(٢٣) التبيان: ٤٢٩/٨.
(٢٤) فاطر: ٣١.
(٢٥) قال به بعض مفسري العامة، ظ: تفسير السمر قندي: ١٠٠/٣؛ ظ: تفسير الرازي: ٢٥/٢٦؛ تفسير القرطبي: ٣٤٦/١٤؛ تفسير السمعاني: ٣٥٨/٤.
(٢٦) تفسير الرازي: ٢٤/٢٦.
(٢٧) مفردات غريب القران: ٢٨٣.
(٢٨) ظ: الطباطبائي، الميزان: ٤٥/١٧.
(٢٩) تفسير السلمي: ١٦٥/٢.
(٣٠) النمل: ٥٩.
(٣١) تفسير القران الكريم: ٤٣٨.
(٣٢) آل عمران: ٣٣.
(٣٣) ظ: الطبرسي، تفسير مجمع البيان: ٢٤٥/٨.
(٣٤) شواهد التنزيل: ٢/ ١٥٥ - ١٥٦.
(٣٥) الميزان في تفسير القران: ٢٢/١٧.
(٣٦) حديث الثقلين: متفق عليه بين الشيعة والسنة.
(٣٧) الكافي: ٢١٥/١.
(٣٨) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٤٧/١٨.
(٣٩) ظ: ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤٢/٣؛ ظ: الطبرسي، الاحتجاج: ٢٢٤/٢ - ٢٢٥ ؛ ظ: باقر شريف القرشي، حياة الإمام الرضا: ١٦٥ ؛ ظ: محمد حسين الأنصاري، الإمامة والحكومة: ١٤١
(٤٠) سعد السعود: ١٠٧.
(٤١) الميزان في تفسير القران: ٢٤/١٧.
(٤٢) الواقعة: ٧٧ - ٧٩.
(٤٣) تفسير الكشاف: ٤٨٧/٦.
(٤٤) القاموس: ٢٤٩/٢، النهاية: ٣٩٥/٢.
(٤٥) لسان العرب: ٦/ ٢٠٦، ونقل هذه الأقوال الطريحي في مجمع البحرين: ١٤١/٤.
(٤٦) تاج العروس: ٨/ ٤٦٤.
(٤٧) مركز المعجم الفقهي، المصطلحات: ٢٢٥٣.
(٤٨) البقرة: ٢١٤.
(٤٩) الانعام: ١٧.
(٥٠) الفروق اللغوية: ٤٦٨.

(٥١) تفسير القران الكريم: المقدمة، الصفحة (يج).
(٥٢) ظ: المصدر نفسه.
(٥٣) الميزان: ٦٦/١٩.
(٥٤) الاحزاب: ٣٣.
(٥٥) الميزان: ٣١٠/١٦ - ٣١١.
(٥٦) المصدر نفسه:١٦/ ٣١٢.
(٥٧) الدر المنثور: ١٩٨/٥.
(٥٨) تفسير الثعالبي: ٣٤٦/٤ تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (٧٨٦ - ٨٧٥هـ).
(٥٩) السيوطي، الدر المنثور: ١٩٨/٥.
(٦٠) رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبيّ الهادي: ١٣ - ١٤ - ١٦ ط. مصر و٢٣ و٤٠ ط. بيروت - الباب الأول - ذكر تفضيلهم بما أنزل الله في حقّهم من الآيات.
(٦١) الصواعق المحرقة: ١٤٣ ط. مصر، وط. بيروت: ٢٢٠ الباب الحادي عشر، في الآيات الواردة فيهم، الآية الأولى.
(٦٢) ومن أراد الاطلاع عليها فاليراجع غاية المرام للبحراني والميزان للطباطبائي: ٣١٢/١٦.
(٦٣) الميزان: ٣٠٩/١٦.
(٦٤) الرعد: ٤٣.
(٦٥) الكافي: ٢٢٩/١.
(٦٦) الاحتجاج: ٢٣٣/١.
(٦٧) تفسير الصافي: ٧٧/٣.
(٦٨) تفسير القمي: ٣٦٧/١.
(٦٩) الكشف والبيان: ٣٠٣/٤.
(٧٠) البيان في تفسير القران: ٢٦٨.
(٧١) البرقي، المحاسن: ٣٠٠/٢؛ المجلسي، بحار الانوار: ٩١/٨٩.
(٧٢) شرح نهج البلاغة: ١٩/١.
(٧٣) المجلسي، بحار الأنوار: ١٠٥/٨٩، ابن طاووس، سعد السعود: ٢٨٥.
(٧٤) سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، ينابيع المودة: ٢٢٣/١؛ ظ: عبد الحسين الاميني، الغدير: ٩٩/٣.
(٧٥) الإتقان في علوم القران: ٣٢٨/٢.
(٧٦) الغدير: ١٠٨/٧.
(٧٧) ينابيع المودة: ٢٢٤/١.
(٧٨) المصدر نفسه: ٢١٤/١.

(٧٩) المناقب: ٩١.
(٨٠) ينابيع المودة: ٢١٤/١.
(٨١) ظ: المصدر نفسه: ٢٢٤/١؛ ظ: الخوارزمي، المناقب: ٩٣.
(٨٢) تاريخ مدينة دمشق: ٣٩٩/٤٢.
(٨٣) ظ: فرائد السمطين: ٣٥٥/١ حديث ٢٨١.
(٨٤) ابن طاووس، سعد السعود: ٢٨٦؛ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار: ٢٦٩/١.
(٨٥) ظ: الشيخ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار: ٢٦٩/١.
(٨٦) ظ: الزركشي، البرهان: ٨/١.
(٨٧) لطائف المنن: ١٧١/١.
(٨٨) ظ: الشيخ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار: ٢٦٩/١.
(٨٩) الكافي: ٤٤٢/٧.
(٩٠) ظ: تهذيب الأحكام: ٢٨٦/٨ ؛ ظ: تفسير العيّاشي: ١٧/١.
(٩١) الأمالي: ٥٢٣؛ ظ: الطبرسي، الاحتجاج: ٦١٧/١.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

البيضاوي: ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ)

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ المعروف بتفسير البيضاوي ـ المطبعة: بيروت - دار الفكر، الناشر: دار الفكر.

البرقي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٢٧٥هـ)

٢- المحاسن، السيد جلال الدين الحسيني المشتهر بالمحدث، الناشر: دار الكتب الإسلامية.

الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري(ت٤٢٧هـ)

٣- الكشف والبيان - المعروف بتفسير الثعلبي -، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الناشر والمطبعة: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، بيروت - لبنان ١٤٢٢ - ٢٠٠٢م

أبو حيان الاندلسي: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الجياني (ت٧٤٥هـ)

٤- تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - والشيخ علي محمد معوض، المطبعة والناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى

لبنان/ بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن احمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذاء الحنفي النسابوري (من أعلام القرن الخامس الهجري)

٥- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي، الطبعة الاولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م طهران - إيران.

ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)

٦- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية -

الخوئي: السيد أبو القاسم الموسوي

٧- البيان في تفسير القرآن، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر، الطبعة: الرابعة، بيروت - لبنان ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م.

الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)

٨- تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الراغب: الحسين بن محمد الاصفهاني (ت٥٠٢هـ).

٩- مفردات غريب القران، دفتر نشر الكتاب ايران، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ).

الفيروز ابادي:مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ).

١٠- القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت (ب.ت).

الزبيدي: محب الدين أبي الفيض محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ).

١١- تاج العروس من جواهر القاموس، طبع مكتبة الحياة بيروت (ب.ت)

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)

١٢- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٦ - ١٩٩٦م، الناشر: دار الفكر

السلمي: أبوعبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الازدي (ت٤١٢هـ)

١٣- تفسير السلمي، تحقيق: سيد عمران، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، لبنان/ بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م

سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي (١٢٢٠ - ١٢٩٤هـ)

١٤- ينابيع المودة لذوي، تحقيق: سيد علي جمال اشرف الحسيني، الناشر: دار الاسوة للطباعة والنشر، المطبعة: اسوه، الطبعة: الاولى، ايران ١٤١٦ هـ.

الطوسي: شيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)

١٥- التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي طبع على مطابع: مكتب الإعلام الإسلامي الطبعة: الأولى تاريخ النشر: رمضان المبارك ١٤٠٩هـ.

١٦- تهذيب الاحكام: تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة: الثالثة، المطبعة: خورشيد الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران، ١٣٦٤هـ ش

الطبرسي: أبي علي الفضل بن الحسن (ت ٥٣٤هـ)

١٧- مجمع البيان في تفسير القران، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة: الأولى بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م|

الطباطبائي: العلامة السيد محمد حسين

١٨- الميزان في تفسير القران، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.

ابن طاووس: أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني (ت٦٦٤هـ)

١٩- سعد السعود، الطبعة الاولى، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م،

السيد عبد الله شبر(ت١٢٤٢هـ)

٢٠- تفسير القران الكريم ـ المعروف بتفسير شبر ـ تحقيق: الدكتور حامد حفني داود، الطبعة: الثالثة، المطبعة والناشر: السيد مرتضى الرضوي، ١٣٨٥ - ١٩٦٦م.

ابن عساكر: العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر(٤٩٩هـ - ٥٧١هـ)

٢١- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان ـ بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

العياشي: المحدث أبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي (ت٣٢٠هـ).

٢٢- تفسير العياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية، طهران

الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ)

٢٣- مستدرك سفينة البحار، تحقيق: نجل المؤلف الحاج الشيخ حسن بن علي النمازي، سنة الطبع: ١٤١٨هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

الكليني:ثقة الاسلام محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي الكليني (ت ٣٢٩هـ)

٢٤- الكافي: تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة،سنة الطبع: ١٣٦٣هـ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران

الفخر الرازي: الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ت ٦٠٦هـ)

٢٥- مفاتيح الغيب: المعروف بتفسير الرازي، دار النشر: دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

الفيض الكاشاني: فيلسوف الفقهاء المولى محسن (ت ١٠٩١هـ)

٢٦- تفسير الصافي، تحقيق: العلامة حسين الاعلمي، الطبعة الثانية،المطبعة: مؤسسة الهادي - قم المقدسة الناشر: مكتبة الصدر - بطهران ١٤١٦هـ

القرطبي: ابو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)

٢٧- الجامع لأحكام القرآن، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

القمي: علي بن ابراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ)

٢٨- تفسير القمي، تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري،الطبعة: الثالثة

سنة الطبع: صفر ١٤٠٤،الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - ايران

المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ)

٢٩- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م -

ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري،(ت ٧١١ هـ)

٣٠- لسان العرب، نشر ادب الحوزة ، قم - إيران، ١٤٠٥ هـ.